# الصنوف الفنية في الخطبة الموعظة للأمام الباقر عليه السلام

**المدرس المساعد**
**فاطمة عبد زيد شوين الخزاعي**
**كلية الشيخ الطوسي الجامعة – النجف الأشرف**

**الملخص:**

بعد ان اطلعت على خطبة الامام الباقر عليه السلام التي خص بها مجموعة من الشيعة، تلمست فيها ما تنشده نفسي من معاني بلاغية خصبة، فضلا عما لحظته من خصوصية في استعمال الامام عليه السلام لبعض الصنوف الفنية ذات العطاءات السخية، فابتغيت من هذه الخطبة ان اظهر تلك الخصوصية في الاسلوب التي اتبعها امامنا الباقر عليه السلام.فتناولت دراسة الخطبة من الناحية الفنية، فكان البحث بعنوان (الصنوف الفنية في الخطبة الموعظة للأمام الباقر" عليه السلام").

وبما ان الخطبة مشحونة بالأساليب الفنية، فقد ركزت الحديث على الصنوف الاكثر استعمالا في الخطبة، والتي بإمكانها ان تنهض بالبحث.

وبذلك اقتضت طبيعة البحث ومحتواه أن يكون في خمس فقرات يسبقها تمهيد وتعقبها خاتمة، وقد اقتصر التمهيد على بيان مفهوم الخطابة في اللغة والاصطلاح. اما الفقرة الاولى فقد بينت العنصر الحواري واهميته في خطبة الامام الباقر عليه السلام، في حين كان نصيب الفقرة الثانية (العنصر الرمزي)، اما الفقرة الثالثة فكانت بخصوص الاقتباس الذي استعمله الامام لتقوية نصوصه، والتأكيد على صدق الله في وعده، وتحدثت الفقرة الرابعة عن الفاصلة التي شكلت بعداً ايقاعياً مميزاً، ثم ختمت البحث بفقرة التضاد، الذي كان لها وقع بلاغي خاص في جميع مفاصل الخطبة.

وأعقبت هذه الفقرات خاتمة أبانت عن أهم النتائج التي توصّل إليها البحث، وكشفت عن ملخص البحث، ثم لحقها ثبت للمصادر والمراجع.

**المقدمة:**

يعدّ البحث الفني من أهم وسائل الكشف عن أسرار لغة النص المعجز خصوصا اذا

كان النص نابع من اهل بيت يزقون العلم زقا، وبالتحديد من الامام باقر عليه السلام والملقب بباقر العلم، لذا سعى البحث للوصول إلى ذلك السر المكنون، فقدّم مجموعة من الصفات التي تكمن فيه وتكشف عن اسراره.

وقد وجدت أنّ الكشف عن جوانب هذا البحث الفنية موضوع جدير بالدراسة، واخترت لذلك واحدة من أهمّ خطب الامام الباقر عليه السلام الذي وجهها لمجموعة من الشيعة حين وجدهم غافلين عن اليوم الاخر، فكان البحث بعنوان (الصنوف الفنية في الخطبة الموعظة للأمام الباقر" عليه السلام").

وبما ان الخطبة مشحونة بالأساليب الفنية، فقد ركزت الحديث على الصنوف الاكثر استعمالا في الخطبة، والتي بإمكانها ان تنهض بالبحث.

## التمهيد

### الخطبة لغة واصطلاحا

اشتقت لفظة الخطبة من قولهم "خطبت اخطب خطابة...واشتق ذلك من الخطب، وهو الامر الجلل، لأنه انما يقام (بالخطب)في الامور التي تجل وتعظم، والاسم منها (خاطب) مثل (راحم)،فاذا جعل وصفا لازما مثل (خطيب)كما قيل في (راحم) (رحيم)، وجعل) (رحيم) ابلغ في الوصف، وبين في الوصف، وابين في الرحمة، وكذلك لا يسمى خطيبا الا من غلب ذلك على وصفه، وصار صناعة له، والخطبة الواحدة من المصدر"[١]، وقيل انها " اسم للكلام الذي يتكلم به الخطيب فيوضع موضع المصدر"[٢]، وتجمع على صيغة جمع تكسير الكثرة (فعل-خطب)مثل جمعة جمع[٣]. ورى الزمخشري (ت:٥٣٨هـ) ان الخطبة "المواجهة بالكلام"[٤].

وبناءً على ما تقدم فان الخطاب يعني "الكلام بين متكلم وسامع، ومنه اشتقاق (الخطبة) بضم الخاء وكسرها"[٥] وقد واشتقت لفظة الخطابة والخطاب من الخطب والمخاطبة، لأنهما مسموعان[٦].

فضلاً عن ذلك فان الخطاب فن الكلام المسبوك المؤثر، ولها صلة وثيقة بالكتابة، اذ ان الكتابة فن يتوسل اليه باليد، اما الخطابة فمما يعتمده اللسان. وهو فن عرفه ادبنا العربي،

اذ كانوا يستعملونه في مفاخراتهم ومناظراتهم، وفي نصحهم وارشادهم، أو في مناسباتهم الاجتماعية كالزواج مثلاً[٧].

**الخطابة اصطلاحا:**

الخطابة في الاصطلاح: هي الالفاظ اللغوية التي اتخذت معاني مجازية جديدة مع استناده الى المدلول اللغوي الاصلي للكلمة، فضلا عما طرأ عليها من تطور في اذهان الناس، اخذين بالحسبان عنصر البيئة والزمان في تحديد مفهوم اللفظة اصطلاحا، وبناءً على ما ذكر فان المدلول الاصطلاحي للفظة (الخطابة)اخذ يسير بهذا الاتجاه، اذ عرفها الازهري بانها "مثل الرسالة التي لها اول واخر"[٨]، مشير الى بنائه الخطبة من دون الدخول فب التفاصيل.

ومن تعريفات المحدثين للخطابة هي "مشاركة في فعل ذي شأن مخاطبة في خطب، اذ المفاعلة تفيد الاشتراك"[٩]، وتعد الخطابة "صفة راسمة في نفس المتكلم يقتدر بها على التعريف في فنون القول، لمحاولة التأثير في نفوس السامعين وحملهم على ما يراد منهم بترغيبهم واقناعهم.

فالخطابة مرماها التأثير في نفس السامع، ومخاطبة، وجدانه، واثارة احساسه للأمر الذي يراد منه ليذعن للحكم اذعاناً، ويسلم به تسليماً"[١٠].

**الصنوف الفنية التي وردت في الخطبة:**

بما ان الخطبة تتميز عن سواها بكونها تتطلب بعدا عاطفيا من جانب.، وبعدا يعتمد الايقاع والصورة من جانب اخر، وبعدا (لفظيا خاصا) من حيث انتقاء العبارة، وتركيبتها، وما يواكب ذلك كمن عناصر التقابل والتكرار والمحاورة والتساؤل والتعجب والخطاب من جانب ثالث: حينئذٍ نجد المام عليه السلام يأخذ هذه الجوانب بنظر الاعتبار، فيصوغ لنا (كلاماً) بالقيم الفنية التي تتناسب مع (الخطبة) من جانب، ويتناسب مع (الموقف) الذي استدعى مثل هذه الخطبة من جانب اخر.

ومن خلال التمعن في خطبته عليه السلام،التي قالها في جماعة من الشيعة حين وجدهم ساهون لاهون فوعظهم وحذرهم، وجدناها تحتفل بصنوف من الاثارة الفنية التي تدهش حقاً، ولو قارنا بكلام اخر قدمه الامام الباقر عليه السلام ايضاً (لكن في موقف اخر يصوغ الحقائق فيه وفق لغة

مباشرة) لوجدنا الفارق بين هذا النموذج والنموذج الاخر، وهو امر يفصح عن حقيقة (الموقف) أو(الدلالة) هي التي تستأثر باهتمام الامام المعصوم عليه السلام، وان تضخم العنصر (الجمالي) أو التقليل أو حتى اعدامه: يرتبط بمتطلبات السياق وليس من اجل الفن وحده.

ومن الصنوف الفنية المؤثرة التي حفلت بها خطبة الامام الباقر عليه السلام:

**الحوار:**

لقد استعمل الامام عليه السلام اللغة الخطابية (الحوارية) في خطبته الوعظة الارشادية، لكي يكون كلامه موجه بشكل مباشر للشيعة، فاستعمل: (ويلك)، (ما اطول نومك)، (يا طالب الجنة)، (فلله انت من طالب ومطلوب)،(يا ابن الايام الثلاث)... فالعنصر الحواري هنا يتوزع بين الاستفهام والتعجب والقسم، كذلك ضمائر المخاطبة توزعت بين(الافراد)، كالنماذج المتقدمة، وبين (الجمع) مثل ان كلامي لو وقع طرف منه في قلب احدكم...الا يا اشباحا بلا ارواح وذبابا بلا مصباح... الا تأخذون... الا تقتبسون... وتتابع الجمل الخطابية الا تأخذون الذهب من الحجر، الا تقتبسون الضياء من النور، الا تأخذون اللؤلؤ من البحر(١١).

وتتوزع الجمل الخطابية بين التحذير والاستغاثة والترغيب "ويحك يا مغرور، الا تحمد من تعطيه فانيا ويعطيك باقيا..."(١٢).

وهكذا نجد تنوع الضمائر والصيغ والنداءات: تفجر اشد انواع الإثارة الفنية والعاطفية حتى ليكاد المستمع يحس بالرعدة تلهب جوانحه تحت التأثير السحري الذي تبعثه هذه الصياغات المثيرة. الذي اراد الامام عليه السلام من خلالها الدخول الى نفوس اصحابه والتأثير بهم(١٣).

**الرمز:**

عد البلاغيون العرب القدماء (الرمز) قسما من اقسام الكتابة(١٤)، وتابعهم في هذا جماعة من المحدثين(١٥)، فالرمز عندهم "هو الكتابة التي قلت وسائطها الى المكنى عنه مع خفاء"(١٦)، وهو هنا لا يعدو ان يكون احدى الوسائل المجازية لتشكيل الصورة الفنية، وان استعمال الرمز يفصح عن حاجة نفسية لمخالفة الواقع، وبنائه بصورة تنسجم ورؤية المبدع الفكرية والفنية، ويثبت هذا الامر بالنظر الى الطبيعة الرمز الوظيفية ذات الطابع الكلي، فقد "تعبر عن الاشياء الحاضرة والأشياء الغائبة، ماضية كانت أو في المستقبل، وقد تصور

الاشياء اللاموجودة والاشياء المستحيلة الوجود، وقد استعمل في الكشف عن الاشياء المجهولة، وهكذا تخدم الرمز الانسان في وظائف التذكير والتوقيع والتعريف والادراك الحاضر للأشياء ويصبح التوقيع نبوءة اذا تضمن الرمز ربط اتصالية ذات طابع يقيني، وتبدو علاقة العلمية في هذا الصدد، ذات اهمية قصوى"[١٧].

وبذا يعني الرمز بمصطلحه الاجنبي symbol "كل ما يحل محل شيء اخر في الدلالة عليه لا بطريق المطابقة التامة، وانما بالإيحاء أو وجود علاقة عرضية أو متعاف عليها، وعادة ما يكون الرمز بهذا المعنى ملموساً يحل محل المجرد"[١٨].

والرمز كما هو معروف يكون على انواع منها: الرمز التراثي، والرمز الأدبي، والرمز الديني.. والذي يهمنا في هذا البحث (الرمز الديني)، الذي كان وما زال من اهم مصادر الالهام الادبي " حيث يستمد منه الشعراء نماذج وموضوعات وصوراً ادبية، والادب العالمي حافل بكثير من الاعمال الادبية العظيمة التي محورها شخصية دينية أو موضوع ديني، أو التي تأثرت بشكل أو باخر بالتراث الديني"[١٩]، ومن اهم مصادر التراث الديني في الادب العربي منذ عصر النبوة وحتى الان، القران الكريم، بما حمله من ابنية لغوية، وما انطوى عليه من شخصيات، وما نقله من قصص أو عبر.

ومن الصور (الرمزية)التي وردت في خطبة الامام الباقر عليه السلام قوله:" الا تأخذون الذهب من الحجر، الا تقتبسون الضياء من النور الازهر، الا تأخذون اللؤلؤ من البحر"[٢٠] فان اشارته عليه السلام الى (الذهب، والضياء، واللؤلؤ) ما هو الا (رمز)الى معطيات الكلمة (الواعظة) حيث يتعين على الشخص ان يفيد من الكلمة ويعمل بموجبها كما يفيد من الذهب والضياء واللؤلؤ من مصادرها الشمسية والارضية والبحرية، كذلك الصورة الرمزية في قوله:" ويحك يا مغرور الا تحمد من تعطيه فانياً ويعطيك باقياً؟"[٢١] حيث يرمز الفناء الى (الدنيا الزائلة)، والبقاء الى (الاخرى الخالدة)..فيما يتساءل قائلا: هل هناك من يحمد الله الذي يقدم له النعيم الخالد مقابل تقديم الانسان: العمل العابر.

وفي موضع اخر نجد تداخل بين الصورة (الرمزية) والصورة (التشبيهية)، فمثلا قوله عليه السلام: "الايا اشباحاً بلا روح وذباباً بلا مصباح كأنكم خشب مسندة واصنام مريدة"[٢٢]، فهنا جملتان (رمزيتان) تبعتهما (جملتان تشبيهيتان) (اشبح وذباب) ثم (خشب واصنام)..

فنلاحظ الصورة الاولى صور(متضايفه)أو متلازمة (الذباب والمصباح)، فالذباب أو الحشرة تحوم على المصباح ولا تنفصل عنه، الا ان النص خاطب القوم بانهم (ذباب) من دون (مصباح). وهذا رمز واضح عن التيهان. ثم تداخلت هذه الصور مع صور تشبيهية (الخشب والاصنام) التي تشير الى الرمز الذي تحمله الصورة الاولى نفسه.

وان هذه المستويات من تركيب الصور تعجّ بصنوف من الاثارة الفنية التي لاحظنا ها من خلال تنوع الصوتين بين الرمز والتشبيه. يستطيع القارئ ان يلحظها بنفسه ويدقق النظر فيها، حتى يتحسس بنفسه مدى ما تنطوي عليه من اثارة فنية لا سبيل الى توضيحها من خلال اللغة بقدر ما يتحسسها القارئ من خلال تذوقه الفني لها(٢٣).

ثم يردفها بصورة (رمزية) اخرى "يا طالب الجنة ما اطول نومك واكل مطيتك واوهى همتك فلله انت من طالب ومطلوب"(٢٤).

تنقسم هنا الصورة الرمزية على جزيئين، يعالج كل جزء منها معنى مرتبطاً بالجزء الاخر بعلاقة سببية، اذ تحدث الجزء الاول عن طلب الجنة، اما الجز الثاني فيتحدث عن غفلة وتغافل الشيعة الذي خاطهم الامام عليه السلام عن الجنة وعن الطريق الذي يوصلهم للجنة، ولا نستطيع ان نتبين ابعاد العلاقة بين الجزئيين من دون الوقوف على ما انطوى عليه الجزئيين من دلالة، فمن خلال الابتعاد عن سلبيات الجزء الثاني يمكن ان يفوز في الجزء الاول.

إن مراقبة استعمال الرمز الديني، يكشف عن حرص الامام الباقر عليه السلام على النظر اليه من الزاوية التي تعالج ازمة الشيعة الغافلين عن يوم المعاد، والرجوع الى الله (عزّ وجل).

ومن الملفت للنظر اكثر هو حفاظ الامام عليه السلام على صلة الرمز بواقع الخطبة، بغية ان يبني موقفا رافضا للظاهرة السلبية للواقع الذي يعيشونه مجموعة من الشيعة.

**الاقتباس:**

يعد الاقتباس لونا من الوان البديع، وواحداً من المحسنات البلاغية التي تعني بها الشاعر والناثر على حد سواء، فالاقتباس تضمن "الكلام شيئاً من القران أو الحديث، لا على انه منه "(٢٥)، أي بمعنى الاستشهاد ببعض النص أو بكلمة منه دالة على ما اقتبس منه سواء أكان قراناً أو حديثاً.

ومما تقدم فإن الاقتباس قائم على اساس "ان يضمن المتكلم كلامه شيئاً من القران الكريم أو الحديث الشريف دون ان يشعر بذلك، ويجوز ان يحتفظ المقتبس بالنص القرآني أو النبوي، أو ان ينقلع الى معنى اخر، كما يجوز له ان يغير في الالفاظ المقتبسة من تغييراً يسيراً"(٢٦).

والاقتباس في اصله تقوية للنص، وتوضيح للمعنى، بكلام تدعمه الحجة وتثبته الادلة، ويكون اما حرفيا أو نصيا أو شعاريا(٢٧). وللأثر القرآني اوجه متعددة تخللت خطبة ورسائل الائمة عليهم السلام حتى كانت طابعا غالبا عليها، ولما لكتاب الله من حضور مؤثر في نفوسه، وثقافتهم ذات السمُت القرآني، وذاكرتهم المستحضرة للنصوص في موضعها المراد، فصلا عن تأثيره في بلاغة فصحاء العرب، وروعة بيانهم ورصانة اسلوبهم على مر العصور.

واتخذ الرسول صلى الله عليه وآله من النصوص القرآنية المقتبسة شواهد اثبات ودلال وايضاح، فانتقاء منها ما يناسب حال خطبهم، واختار منها ما يشير الى عقائدهم ورسلهم.

فكانت خطبة الرسول صلى الله عليه وآله نسيج من بلاغة القران الكريم، فضلاً عن بلاغته التي حباهُ الله بها ليُتم دعوته الى الدين الجديد..

وقد حذا (ال البيت) عليهم السلام حذو رسولنا الكريم صلى الله عليه وآله في الاقتباس القرآني ضمن خطبهم، ومنهم امامنا الباقر عليه السلام،حيث قال في خطبته التي وعظ بها الشيعة" درهم يفني بعشرة تبقى الى سبعمائة ضعف مضاعفة من جواد كريم، اتاك الله عند مكافأة"(٢٨).

فهذه الصورة التضمينية التي تسير الى الواحد بعشرة، وانه يتضاعف الى سبعمائة، انما تقتبس دلالة الآيات القائلة: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾(٢٩)، ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ﴾(٣٠).

أراد الامام عليه السلام من خلال هذه الصورة التضمينية (الاقتباس) ان يقوي نص خطبته بكلام الله عزّ وجل، فضلاً عن ارشاد الشيعة ونصحهم لعمل الخير في الحياة الدنيا من اجل ان يضاعفه الله لهم في الدار الاخرى بعشرة اضعاف، فنلاحظ اقتباس الآية هنا مناسب لأجواء الحديث الذي يتعلق بالابتعاد عن اللهو والتيهان وكسب الجنة بالعمل الصالح.

كذلك نجد الامام الباقر عليه السلام يضمن خطبته بآيات من القران الكريم، آيات بعينها فقد اختار لخطبته قوله تعالى ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ﴾(٣١).

كذلك نجد الامام الباقر عليه السلام بالآية المبينة في نص الخطبة شاهد على صدق وعد الله، وحث على الهداية والترغيب فيها، وتأكيد لكلامه، ودليل عليه.

وليس هذا فحسب بل نجد امامنا عليه السلام يحذو حذو جده رسول الله صلى الله عليه وآله وختم خطبته بآيات من القران الكريم. فاستعان بآيات مناسبة لمضمون نص خطبته فاختار قوله تعالى: ﴿يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾(٣٢) ﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾(٣٣).

فغالباً ما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يختتم خطبه بنصوص من القران الكريم. وهذا ما فعله امامنا الباقر عليه السلام في خطبته الشريفة.

**السجع (الفاصلة):**

تميز دعاء الامام الباقر بمنهج فريد في فواصله المسجوعة. والمقصود بالفواصل "حروف متشاكلة في المقاطع يقع فيها افهام المعنى"(٣٤).

وقد استعمل الامام الباقر عليه السلام حروف محددة ليفصل بها بين فقرات كل لوحة من لوحات الدعاء، لصالح إغناء المعنى إثرائه في مقاطع تكون متوازنة صوتياً تشحذ الذوق وتستميله تأملاً في السماع.

كما نلاحظ ان استعمال الامام عليه السلام للسجع هنا يشبه استعمال القافية في البيت الشعري. اذ جعل (السجع) أو (الفاصلة) جزاً اصيلاً من فقرات الدعاء فلا توجد فقرة خالية من السجع.

وإذا نظرنا الى الدعاء وما فيه من دقة النظم وروعة التأليف، وما تجلى فيه من صور جميلة، ومن التوقيع الموسيقي، بل ومن صور البيان عامة ما لا يمكن ان يكون الا في كلام اهل البيت عليهم السلام ودقة استعمالهم للألفاظ.

فنلاحظ الامام عليه السلام بعد مطلع الخطبة يبتدأ لوحته بفاصلة صوت(الحاء) قائلا:" الا يا اشباحا بلا ارواح، وذبابا بلا مصباح..."(٣٥).

يعد صوت (الحاء) من الاصوات الرخوة(٣٦)، لهذا استطاع الامام عليه السلام ان يستثمر

رخاوة الصوت لخدمة خطبته، فدخل من خلاله لنفوس المخاطبين بهدوء، لان لصوت الحاء "راحة في القلوب تزداد بالتكرار، لما بعدها من الظل الممدود والتضعيف المقبول"(٣٧).

وبعد ان هيأ نفوس المخاطبين لتلقي الخطاب من خلال استعماله هدوء صوت الحاء، انتقل للوحة اخرى بصوت اشد من صوت الحاء، وهو صوت الراء، بقوله: "الا تأخذون الذهب من الحجر، الا تقتبسون الضياء من النور الازهر، الا تأخذون اللؤلؤ من البحر"(٣٨).

صوت (الراء) يتميز بالتكرار(٣٩)، فناسب الامام عليه السلام بين صفة (الراء) والمعنى المراد ايصاله، فكانت مجانسة موفقة في التزاوج بين صفة الصوت والمعنى، وهذا ما مكنه من الدخول في صلب الخطبة.

ثم ينتقل الامام الباقر عليه السلام الى الخطاب المباشر مع الجماعة المعنين باستعمال (كاف) المخاطبة كفاصله في لوحته، قائلاً:" هو مطعمك وكاسيك ومعافيك وكافيك وساترك ممن يراعيك من حفظك في ليلك ونهارك واجابك عند اضطرارك وعزم لك على الرشد في اختبارك، كأنك قد نسيت ليالي اوجاعك وخوفك، دعوته فاستجاب لك" كذلك يختم لوحة اخرى بحرف الكاف قائلا: "يا ابن الايام الثلاث: يومك الاتي ولدت فيه ويومك الذي تنزل فيه قبرك ويومك الذي تخرج فيه الى ربك فيا له من يوم عظيم"(٤٠).

إن استعمال فاصلة (الكاف) نفسها يشكل ايقاع متوالي في الحقيقة لم يعد مجرد منسق إيقاع صوتي فقط بل انه وحدة دلالية وجزء حيوي في هيكلية الدعاء.

أراد الامام عليه السلام من خلال استعماله (كاف المخاطبة) ان يؤكد على المخاطب بذاته ويذكره بنعماء الله وفضله عليه ويوصيه بالاستعداد ليوم اللقاء؛ لان كل فقرة تخص شأن من شؤون المسلمين وكلها تنسجم وترتبط بالفكرة الرئيسية للوحة الواحدة من الدعاء وهو الرجوع الى الله والامثال لأوامره من اجل الفوز بالجنة.

وتبدأ لوحة جديدة بألفاظ جديدة تتغير فيها الفاصلة يقول فيها: "انظروا الى هذه القبور سطوراً بافناء الدور، تدانوا في خططهم وقربوا في مزارهم وبعدوا في لقائهم عمروا فخربو وانسوا فأوحشوا. وسكنوا فازعجوا. وقنطوا فرحلوا"(٤١) من المعروف انه يفضل كثيراً استعمال حرف المد في الفواصل تمكيناً للقارئ من تحقيق الترنم والتمكين من التطريب"(انهم

إذا ترنموا يلحقون الالف والواو والياء...لأنهم ارادوا مد الصوت"[٤٢].

وقد استعملنا لفظة الفاصلة بدل السجع لان الامام الباقر عليه السلام كان يستعمل السجع ليفصل فقرة عن اخرى. لدلالة معينة اراد من خلالها ان يبين اهمية كل فقرة من فقرات الدعاء ويجعل لها خصوصية. أي ان الامام عليه السلام استعمل السجع كفاصلة بين فقرات دعائه الشريف.

**التضاد:**

التضاد عند الاسلوبيين هو ما يقابله عند البلاغيين القدامى من دمج الطباق والمقابلة معاً ليكون هذان المصطلحان ما يعرف بالتضاد.

المطابقة: وتسمى الطباق والتطبيق والتكافؤ والتضاد، وهي الفن الثالث من بديع ابن المعتز.

والطبقة هي "الجمع بين المتضادين أي متقابلين في الجملة ويكون ذلك إما بلفظين من نوع واحد كقولة تعالى ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ (سورة الكهف:١٨)، هذا في الاسماء ام في الافعال كقولة تعالى: ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾ (سورة آل عمران:٢٦)، وكذلك الحروف كقوله تعالى ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ (سورة البقرة:٢٨٦)"[٤٣].

المقابلة: تكلم عنها قدامة بن جعفر في كتابه نقد الشعر "هي من انواع المعاني"[٤٤]، وادخلها جماعة في المطابقة كأبن الاثير الذي قال: "اعلم أن الأليق من حيث المعنى أن يسمى هذا النوع المقابلة"[٤٥].

وقد فرقّ البلاغيون بين المطابقة والمقابلة من وجهين:

الأول: إن الطباق لا يكون ألا ضدين غالباً، كقوله تعالى:"﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ (الحج ٦٦)، والمقابلة تكون غالباً بالجمع من اربعة أضداد ضدين في اصل الكلام وضدين في عجزة وتبليغ إلى الجمع من عشرة اضداد، خمسة في الصدر وخمسة في العجز.

الثاني: لا يكون الطباق الا بالأضداد، والمقابلة تكون بالأضداد و غيرها، كأن العام يشمل الخاص وليس العكس[٤٦].

يتضح من خلال ما ذكرناه وجود تقارب كبير بين المقابلة والطباق عند البلاغيين القدماء، هذا ما جعل المحدثين ان يجعلوها بمصطلح واحد وهو (التضاد).

وقد ورد التضاد في عدة مواضع من خطبة الأمام الباقر عليه السلام في قوله: "انظروا الى هذه القبور سطوراً بافناء الدور، تدانوا في خططهم وقربوا في مزارهم وبعدوا في لقائهم عمروا فخربو وانسوا فأوحشوا. وسكنوا فازعجوا. وقنطوا فرحلوا فمن سمع بدانٍ بعيد وشاحطٍ قريب وعامر مخروب وانس موحش وساكن مزعج، وقاطن مرحل من غير اهل القبور"(٤٧).

نلاحظ اللوحة تحفل بمجموعة من المتضادات في المعنى من غير شك. ومثل هذا التضاد يعمل على تقوية الحلقات الموسيقية في الدعاء، كذلك يحمل هذا التضاد صفة التناسب من حيث الصيغة التي تعمل على تفعيل الايقاع الداخلي في النص وتقويته.

ونظراً لأهمية هذا الطباق في الدعاء كونه يخص الشيعة ويذكرهم بلقاء الله تعالى نجد الامام عليه السلام يتابعه بلوحة اخرى تحمل المعنى نفسه لكن بلفظ مختلف، حيث يقول: "يا ابن الايام الثلاث: يومك الاتي ولدت فيه ويومك الذي تنزل فيه قبرك ويومك الذي تخرج فيه الى ربك فيا له من يوم عظيم، مالي ارى اجسامكم عامرة وقلوبكم دامره"(٤٨)، لقد جمع الامام الباقر عليه السلام في اللوحتين عناصر الحوار والخطاب والتتابع والتضاد من اجل ان يرسم صورة حافلة بالعناصر الفنية المؤثر التي تساهم بدورها في اثارة العواطف.

وهناك نوع اخر من التضاد الذي حصل بين لوحات الدعاء. مرة من جهة المعنى ومرة اخرى من جهة اللفظ. لينتج مقابلة موسيقية صوتية دلالية تزيد المعنى حسناً وجمالاً، يقول فيها:" من حفظك في ليلك ونهارك واجابك عند اضطراك.....- ثم يقول -: فنسته فيمن ذكر، وخالفته فيما امر.."(٤٩).

نلاحظ ان هذه المتضادات ساهمت بشكل كبير في تفعيل الايقاع التحتي من خلال التقابل بين (ليلك ونهارك) من جهة، وبين(فنسيته فيمن ذكر)من جهة اخرى، وبين (خالفته فيما امر) من جهة ثالثة. وبهذا قابل الامام عليه السلام باللفظ والمعنى والدلالة؛ ليقدم لوحة بلاغية متكاملة، فضلا عن الوعظ التي واكب عناصر اللوحة بشكل مكثف.

ومن المتقابلات الاخرى التي اضافها الامام الباقر عليه السلام لخطبته الموعظة التي قال فيها" يا طالب الجنة ما اطول نومك واكل مطيتك واوهى همتك فلله انت من طالب ومطلوب، ويا

هاربا من النار ما احث مطيتك اليها وما اكسبك لما يوقعك فيها"[٥٠].

إن حركة السياق داخل النصين لها نغمة خاصة تكونت بفضل التقابل في المعاني والذي انتج (التناغم الصوتي)؛ الذي يعدُّ اخفى درجة من درجات الايقاع الموسيقي الداخلي، فضلاً عن تذكير الغافلين والساهين بوجود الجنة والنار.

وأخيراً بإمكاننا ان نلحظ الخصائص الفنية في هذه الخطبة التي ارتجلها الامام الباقر عليه السلام في سياق خاص استدعى صياغة هذه الخطبة وفق المتطلبات الوجدانية بما واكبها من عناصر لفظية وصورية وايقاعية مكثفة بحيث لا تخلو جملة واحدة منها من صور حوار ورمز واقتباس ومقابلة ومتابعة وتمثيل وتشبيه واستعارة. بحيث يترك مثل هذا الاسلوب اثره البلغ في النفوس، وهو امر اشار الامام عليه السلام اليه حينما قال في اول خطابه "ان كلامي لو وقع طرف منه في قلب احدكم لصار ميتاً... "[٥١].

فهذه الصورة الفنية التي نطلق عليها مصطلح (الصورة الفرضية) وهي: موت الانسان في حالة استماعه لهذه الخطبة. حيث افترض الامام عليه السلام امكانية الموت ولم يقل ذلك حقيقة بل تجوزاً وان كان التجوز هنا يمكن ان يتحول الى حقيقة في حالة تحول الانسان اشد حالات الوعي العبادي، بيد ان الامام عليه السلام صاغ (فرضيته) وهي انه لو قدر ان يؤثر هذا الكلام على احد لمات من هول التقصير العبادي الذي يطبع سلوكه بنجو عام (٥٢).

إذن حتى هذه الصورة الفرضية التي قدمها الامام عليه السلام في استهلال خطابه، تشف عن خصيصة فنية هي ان الخطبة بما حفلت من عناصر فنية تبقى نصا يحقق مهمة الفن الا وهو التأثير في المتلقي.

## الخاتمة:

وفي نهاية المطاف لابد ان نجني اهم الثمار التي اينع بها هذا البحث، وهي كالاتي:

- فقد كان للحوار والمخاطبة الفضل في اسباغ خصوصية اسلوبية على مستوى الخيار اللغوي والتركيبي، لا على مستوى الجملة فحسب، بل على مستوى النص.
- استقى الامام الباقر عليه السلام من التراث الديني رموز نصوصه التي اسبغ عليها مشاعره الخاصة، وقد حرص على ان يختار منها ما يتساوق مع خطبته، لذا نجد تلك الرموز موحدة في مضامينها العاطفية والنفسية.

- ان استعانة الامام عليه السلام بالاقتباس من الآيات القرآنية في نص الخطبة شاهد على صدق وعد الله وتأكيد كلامه والحث على الرجوع الى الله عز وجل
- كثير ما استعمل الامام عليه السلام كاف المخاطبة كفاصلة في خطبة من اجل التركيز والتأكيد على شخص المخاطب كون الكلام موجه له.
- ان المتضادات التي استعملها الامام عليه السلام في خطبته لها قيمة جمالية وفنية تتجلى في قدرتها على مناوشة الشعور عن طريق الابانة الخاطفة التي تتأزر في مختلف وسائل التركيب.

**Abstract:-**

Praise be to Allaah for what he has done. He who knows the statement، unless we know، and prayers and peace be upon Muhammad، are better than those who speak right، and better than those who come to wisdom and to separate the discourse.

After reading the sermon of the Imam al-Baqir (peace be upon him)، which was singled out by a group of Shiites، I sensed in it the meaning of the meaning of a rich rhetoric، as well as the specificity of the use of the Imam (peace be upon him) The sermon showed that particularity in the manner followed by the Baqir (peace be upon him). The study of the khutbah was considered technically.

Since the sermon is charged with technical methods، the discussion focused on the most used swords in the sermon، which can promote research.

Thus، the nature of the research and its content necessitated that it be in five paragraphs preceded by a preface and a conclusion. The preface was limited to a statement of the concept of rhetoric in language and terminology. The third paragraph was about the quotation used by the Imam to strengthen his texts، and to confirm the sincerity of God in his promise، and spoke the fourth paragraph From the comma، which formed a distinctive rhythmic dimension،

and then concluded the research with the contrast clause، which had a special rhetorical effect in all joints of the sermon.

These paragraphs followed the conclusion of the most important findings of the research، and revealed the summary of the research، and then the right proven sources and references.

## هوامش البحث

(١) البرهان في وجوه البيان /١٩٣

(٢) تهذيب اللغة/ مادة (خطب)

(٣) ينظر البرهان في وجوه البيان/١٩٣

(٤) اساس البلاغة/ مادة خطب

(٥) المصباح المنير/ مادة خطب

(٦) ينظر البرهان في وجوه البيان /١٩٣

(٧) ينظر تهذيب اللغة / مادة خطب

(٨) كتاب الصناعتين/ ابو هلال العسكري/١٤٢

(٩) في بلاغة الخطاب الاقناعي /١٤- ١٥

(١٠) الخطابة/١٢

(١١) ينظر مسند الامام الباقر ابي جعفر محمد بن علي عليه السلام /٣٥٢/٢.

(١٢) المصدر نفسه/٣٥٣/٢.

(١٣) ينظر تاريخ الادب العربي في ضوء المنهج الاسلامي /٤٠٨- ٤٠٩.

(١٤) ينظر العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده/٣٠٥، ينظر دلائل الاعجاز/٣٠٦، ينظر مفتاح العلوم/٥٢١. ينظر الايضاح في علوم البلاغة/ ٢٤٨، ينظر معجم المصطلحات البلاغية / احمد مطلوب/٢٣-٢٤.

(١٥) البلاغة العربية قراءة اخرى/ محمد عبد المطلب/١٩٣.

(١٦) البلاغة والتطبيق/ احمد مطلوب، كامل حسن البصير/٣٧٦.

(١٧) الرمز الشعري عند الصوفية/١٤.

(١٨) معجم المصطلحات العربية في اللغة والاديب/١٨١.

(١٩) استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر/٧٥.

(٢٠) مسند الامام الباقر ابي جعفر محمد بن علي عليه السلام /٣٥٢/٢.

(٢١) المصدر نفسه/٣٥٣/٢.

(٢٢) مسند الامام الباقر ابي جعفر محمد بن علي عليه السلام /٣٥٢/٢.
(٢٣) ينظر تاريخ الادب العربي في ضوء المنهج الاسلامي/٤١٠.
(٢٤) مسند الامام الباقر ابي جعفر محمد بن علي عليه السلام /٣٥٣/٢.
(٢٥) الايضاح في علوم البلاغة/٥٧٥/٢.
(٢٦) علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة العربية ومسائل البديع/١٣٨/١.
(٢٧) ينظر اثر القران في الشعر الاندلس منذ الفتح حتى سقوط الخلافة/٤٨.
(٢٨) مسند الامام الباقر ابي جعفر محمد بن علي عليه السلام /٣٥٣/٢.
(٢٩) سورة الانعام/١٥٩.
(٣٠) سورة البقرة/٢٦١.
(٣١) سورة الزمر/١٨.
(٣٢) سورة الانعام/٢٧.
(٣٣) سورة الانعام/٢٨.
(٣٤) البرهان في علوم القران/٥١/١.
(٣٥) مسند الامام الباقر ابي جعفر محمد بن علي (عليهما السلام)/٣٥٢/٢.
(٣٦) ينظر مدخل الى علم الاصوات العربي/١٩٣.
(٣٧) البلاغة والتطبيق/١٤٣.
(٣٨) مسند الامام الباقر ابي جعفر محمد بن علي (عليهما السلام)/٣٥٢/٢.
(٣٩) ينظر فقه اللغة وخصائص العربية دراسة تحليلية مقارنة للكلمات العربية /٥٢.
(٤٠) مسند الامام الباقر ابي جعفر محمد بن علي (عليهما السلام)/٣٥٣/٢.
(٤١) المصدر نفسه/٣٥٢/٢.
(٤٢) التعبير الفني في القران/٢٠٤.
(٤٣) البلاغة العربية /احمد مطلوب/٢٨٠- ٢٨٧.
(٤٤) نقد الشعر /تحقيق: كمال مصطفى/ ١٥٢.
(٤٥) الجامع الكبير/ ابن الاثير/ ٢١٢.
(٤٦) ينظر بديع القران/٣١/
(٤٧) مسند الامام الباقر ابي جعفر محمد بن علي (عليهما السلام)/٣٥٣/٢.
(٤٨) المصدر نفسه/٣٥٣/٢.
(٤٩) مسند الامام الباقر ابي جعفر محمد بن علي (عليهما السلام)/٣٥٣/٢.
(٥٠) المصدر نفسه/٣٥٣/٢.
(٥١) مسند الامام الباقر ابي جعفر محمد بن علي (عليهما السلام)/٣٥٣/٢.
(٥٢) ينظر تاريخ الادب العربي في ضوء المنهج الاسلامي /٤١١.

## قائمة المصادر والمراجع


خير ما نبتدئ به القران الكريم

١. اساس البلاغة

٢. استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر/علي عشري زايد/دار الفكر العربي/ القاهرة/مصر/(د. ط)/١٩٩٧م.

٣. اثر القران في الشعر الاندلسي منذ الفتح حتى سقوط الخلافة/

٤. الايضاح في علوم البلاغة /جلال الدين القزويني/دار الكتب العلمية/بيروت/ لبنان/ط١/٢٠٠٣م.

٥. بديع القران / ابن ابي الاصبع المصري/تحقيق: حنفي محمد/القاهرة/(د. ط)/١٩٧٥م.

٦. البرهان في علوم القران/الزركشي / تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا / دار الكتب العلمية /بيروت/ط١/٢٠٠٧م.

٧. البلاغة العربية / احمد مطلوب/بغداد/ط١/١٩٨٠م.

٨. البلاغة العربية قراءة اخرى/ محمد عبد المطلب/ مكتبة لبنان ناشرون/ بيروت / ابنان/ط١/١٩٩٧م.

٩. البلاغة والتطبيق/احمد مطلوب، كامل حسن البصير/وزارة التعليم العالي والبحث العلمي/بغداد العراق/ط٢/١٩٩٩م.

١٠. تاريخ الادب العربي في ضوء المنهج الاسلامي/ محمود البستاني/مجمع البحوث الاسلامية/ ط٣/١٤٣٥هـ.

١١. التعبير الفني في القران/بكري امين/ دار الشروق / بيروت/١٩٧٣م.

١٢. تهذيب اللغة/ابو منصور محمد بن احمد الازهري/ تحقيق: احمد عبد العليم البردوني /الدار المصرية للتأليف والترجمة/القاهرة/مصر/(د.ط)(د.ت)

١٣. الجامع الكبير/ ابن الاثير /تحقيق: كمال مصطفى/(د. ط)/(د.ت).

١٤. الخطابة

١٥. دلائل الاعجاز/عبد القاهر الجرجاني/تحقيق: محمد عبده/دار المعرفة/ بيروت/(د. ط)/ ١٩٧٨م.

١٦. الرمز الشعري عند الصوفية/عاطف جودة نصر/دار الاندلس /بيروت/ لبنان/١٩٧٨م.

١٧. علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع/بسيوني عبد الفتاح/ المختار للنشر والتوزيع/ ط٢/ ٢٠٠٣م.

١٨. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده/ ابن رشيق القيرواني/تحقيق: محمد محي الدين بن عبد الحميد/دار الجيل/بيروت/ لبنان/ط٥/١٩٨١م.

١٩. فقه اللغة وخصائص العربية/محمد المبارك/دار الفكر/مصر/ القاهرة/ط٢/١٩٦٤م.

٢٠. في بلاغة الخطاب الاقناعي/

٢١. كتاب الصناعتين/ ابو هلال العسكري /تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد ابو الفضل، ابراهيم/دار الفكر العربي / القاهرة/ ط٥/(د.ت)

٢٢. مدخل الى علم الاصوات العربية/ غانم قدوري الحمد/ مطبعة المجمع العلمي/ بغداد/ ٢٠٠٢م.

٢٣. المصباح المنير/

٢٤. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها/ احمد مطلوب/ مطبعة المجمع العامي/(د.ط)/ ١٩٨٣م.

٢٥. معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب /مجدي وهبة وكامل المهندس /مكتبة لبنان /بيروت / لبنان/ط٢/١٩٨٤م

٢٦. مفتاح العلوم/ابو يعقوب السكاكي/ تحقيق: عبد الحميد الهنداوي/ دار الكتب العلمية/بيروت / لبنان/ظ١/٢٠٠٠م.

٢٧. نقد الشعر/قدامة بن جعفر/ تحقيق: كمال مصطفى/(د.ط)/(د.ت).